سلسلة رسائل

من خلف القضبان (2)

ألا تُريحني مِن ذي الخلصة؟

العلّامة المُحدِّث الشيخ

عبد الله الشمري





الطبعة الأولـــى

1435 هـ 2014 م



الغربـــاء للإعلام

ألا تُريحني مِن ذي الخلصة؟

لفضيلة الشيخ المحدث

عبد اللّه الشمري

حفظه اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بعبادته، ونهى أن يتخذ ندًّا من دونه كما قال: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ٣٠ ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي كسر الأصنام، وهدم الأوثان، ونقض الصلبان، وقامت بعثته ورسالته؛ لإزالة ذلك كله؛ ليكون الدين كله لله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين شمروا عن ساعد الجد، وهدموا وقطعوا وأزالوا كل ما نُصب مما يعبد من دون الله؛ من شجر أو حجر، أو وثن أو علم أو قبر، رضي الله عنهم وعمّن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد...

فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ليُعبد وحده لا شريك له، ويُكفر بكل جبت وطاغوت؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، ولا دين إلا بذلك، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ آل عمران: ١٠١ ، وقال تعالى: ﴿ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ آل عمران: ١ - ٤ ، وقد قام رسل الله عليهم الصلاة والسلام بما أوجب الله عليهم من أمر أقوامهم وإنذارهم؛ فأمروهم بعبادة الله، وأنذروهم عن عبادة ما سواه، وكان غالب الأنداد التي تُعبَد من دون الله، واتُّخِذَت آلهة مع الله أصنامًا وأوثانًا، ويتعاهد بعضهم بعضًا بعدم تركها؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح: ٢٣ ، وينكرون دعوة الأنبياء بقولهم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ ص: ٥ ، وأنبياؤهم يأمرونهم بالليل والنهار، والسر والجهار، ولسان حال كل نبي يقول كما قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ الذاريات: ٥٠ - ٥١ فيجيبونهم تكبّرًا وإعراضًا وسخريةً واستهزاء، كما وصفهم الله بقوله: { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون }.

فقام رسل الله بجهادهم وتحطيم آلهتهم، كما وصف الله خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لمّا حاور أباه وقومه في التماثيل، وإنكاره عليهم باتخاذها وعبادتها والعكوف عليها، قام بعد ذلك بتحطيمها، كما قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٧ - ٥٨ ، ولم يبالِ بهم ولا بآلهتهم، ولا بتعذيبهم وعقوبتهم، وهذه هي الغاية من الرسالة، وعين الحكمة؛ وهي ملة إبراهيم التي مَن تركها فقد سفه نفسه.

وهذا كليم الله الذي اصطفاه الله برسالته وبكلامه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، لما رجع من ميقات ربه، وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل من دون الله، فقام غضبًا لله، وألقى الألواح التي فيها كلام الله، ثم جاء إلى العجل الذي اتخذوه إلهًا من دون الله، فحطمه وحرقه، وتبرأ ممن صنعه، قال تعالى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ طه: ٩٧ ، وهذا خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أول ما أُرسِل به: أُرسِل بالمدثر، التي قال الله فيها: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ ﴾ ، فرسالته ﷺ مِن أركانها:

كسر الأوثان وإزالتها، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرآء عليه قومه، فتلطفتُ حتى دخلتُ عليه بمكة، فقلتُ له: ما أنتَ؟ قال: (**أنا نبي**)، فقلتُ: وما نبي؟ قال: (**أرسلني الله**)، فقلتُ: وبأي شيء أرسلك؟ قال: (**أرسلني بِصِلَةِ الأرحام، وَكَسْرِ الأوثان، وأن يُوَحَّدَ اللهُ لا يشرك به شيء**) رواه مسلم٨٣٢،

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فيه مِن العبر أنه لمّا قال: (**أرسلني الله**)، قال: بأي شيء أرسلك؟ قال: بكذا وكذا، فتبيّن أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة

النبوية؛ هي: توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة .اهـ. [كتاب مفيد المستفيد].

وكان ﷺ مع ضعفه واستخفائه، وجراءة قومه عليه؛ لم يترك تحطيم الأوثان، فعن علي رضي الله عنه قال: انطلقتُ أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ : (**اجلس**)، وصعد على منكبي، فذهبتُ لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ ، وقال: (**اصعد على منكبي**)، قال: فصعدتُ على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُخَيَّل إلي أن لو شئتُ لَنِلْتُ أُفُقَ السماء، حتى صعدتُ على البيت، وعليه تمثال صُفر أو نحاس، فجعلتُ أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنتُ منه، قال لي رسول الله ﷺ : (**اقذف به**)، فقذفتُ به، فتكسّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلتُ، فانطلقتُ أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا في البيوت؛ خشية أن يلقانا أحد مِن الناس. [رواه ابن أبي شيبة ٣٦٨٩٦ وأحمد١\٨٤].

ولمّا قدم مكة فاتحًا؛ حطّم ما حولها مِن الأصنام، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: (**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا * جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**) [رواه البخاري٤٧٢٠ ومسلم١٧٨١].

وفي رواية عنده بدل نصبًا: صنمًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه لمّا ذكر قصة الفتح قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: (**جاء الحق وزهق الباطل**) [رواه مسلم ١٧٨٠]

وفي الباب عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما؛ قال ابن إسحاق في السيرة: "وبعث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي حول مكة، فكُسِرت كلها، منها اللات والعزى ومناة، ونادى مناديه بمكة: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنمًا إلا كسره.

وقال فضالة بن عبيد رضي الله عنه عند ذلك:

لــو مــا رأيــت محمــدًا وجنــوده	بــالفتح يــوم تكسّرــ الأصــنامُ

لرأيـــت نـــور الله أصـــبح بيّنًـــا	والشرــك يغشىــ وجهَــهُ الإظــلامُ

وكان من آخر طواغيت الجاهلية ذو الخلصة، كما قال ﷺ : (**يا جرير؛ إنه لم يبقَ مِن طواغيت الجاهلية إلا بيت ذي الخلصة فاكفنيه**) [رواه ابن حبان ٧١٥٨]

وإليك قصة جرير رضي الله عنه مع ذي الخلصة؛

قال البخاري: "باب غزوة ذي الخلصة .

عن جرير رضي الله عنه قال: كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية، فقال لي النبي ﷺ : (**ألا تريحني من ذي الخلصة؟**) فنفرتُ في مائة وخمسين راكبًا فكسرناه، وقتلنا مَن وجدنا عنده، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فدعا لنا ولأحمس. [رواه البخاري٤٣٥٥ ومسلم٢٤٧٦] .

وزاد البخاري في رواية: لما قدم جرير اليمن؛ كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير رضي الله عنه، فقال: لَتَكْسِرَنَّها ولَتشهَدَنَّ أن لا إله إلا الله، أو لأضربن عنقك.

قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً مِن أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله؛ والذي بعثك بالحق، ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

[البخاري.٤٣٥٧].

قال ابن حجر في الفتح: "والمراد بالراحة: راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ مِن بقاء ما يشرك به "إي والله! سواء في ذلك الطواغيت الوثنية أو الطواغيت البشرية؛ فالطواغيت الوثنية قد تقدم ذكر شيء منها، وأما الطواغيت البشرية؛ فقد قال تعالى:﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢ ، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**)، فقام محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله؛ أتحب أن أقتله؟ قال: (**نعم**). ثم ذكر صفة قتله. [رواه البخاري٤٠٣٧ ومسلم١٨٠١].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ رهطًا مِن الأنصار إلى أبي رافع اليهودي ليقتلوه، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، فدخل عليه عبد الله بن عتيك رضي الله عنه بيته ليلاً، فقتله وهو نائم. [رواه البخاري٤٠٣٩].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهذلي فقال: (**اذهب فاقتله**)، وكان يجمّع لقتال رسول الله ﷺ ، فانطلقت أمشي وأنا أصلي أومئ إيماءً نحوه، فلما دنوتُ منه قال لي: مَن أنت؟ قلت: رجل من العرب، بلغني أنك تجمع لهذا الرجل، فجئتُ في ذاك. قال: إني لفي ذاك، فمشيتُ معه ساعة، حتى إذا أمكنني: عَلوتُه بسيفي حتى برد. [رواه أحمد ٣\٤٩٦.وأبو داود١٢٤٩].

فهذه سنّة الرسول ﷺ وشرعته مِن أول رسالته؛ دعوة إلى التوحيد، وإنذار عن الشرك، ثم أُذِنَ له بجهاد من لم يقبل ذلك بالسيف، وقد أبدأ في ذلك وأعاد، وأخبر بشدة غضب الله على مَن اتخذ القبور مساجد، ولعن أصحابها، فقال في آخر حياته في مرضه الذي مات فيه: (**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خُشِي أن يُتَّخَذَ مسجدًا. [رواه البخاري١٣٣٠ومسلم٥٢٩].

وأخبر بأنهم شر الخلق عند الله؛ فعن عائشة رضي الله عنها: أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ ، فقال: (**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات؛ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**) [رواه البخاري٤٢٧ومسلم٥٢٨].

فكل دعوة إلى الله أو جهاد في سبيل الله، لا يقوم على ما قام به أفضل الخلق عند الله؛ إمام الحنفاء إبراهيم، وكليم الله موسى، وخاتمهم وأفضلهم محمد عليهم الصلاة والسلام: فهي دعوة مدخولة، وجهاد مدخول؛ لأنه أعرض عن طريقة ودعوة الأنبياء والمرسلين، الذين قامت رسالتهم على هذين الأصلين؛ ألا وهما:

"١. الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير مَن تركه.

٢. الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير مَن فعله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢١]

وأما في هذا الزمان؛ فقلّ أن تسمع مَن يقوم بهذا إلا القليل مِن العصابة المؤمنة، التي تقوم بالدعوة إلى الإسلام حقًّا وتحكيم الشريعة صدقًا؛ مِن العلماء المخلصين والمجاهدين الصادقين، وأعظم ما يصدق ذلك: إزالتهم للأصنام والأوثان والأشجار والأحجار، وتسويتهم للقبور التي تُعبَد مِن دون الله، كما بعث النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه فقال له: (**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**)[رواه مسلم٩٦٩].

فلا يتساهل في هذه المسألة فإنها مسألة عظيمة، وبعضهم يفتري إذا قلت له: لماذا لا تهدم الأوثان وتسوي القبور، وتدعو إلى التوحيد ؟ فيجيب قائلاً: "**إن هذا يفرّق! وليس من الحكمة، ولا المصلحة الشرعية، وليس هذا أوانه!**

فيا سبحان الله! أَفَيُحْرَم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم الحكمة والمصلحة الشرعية وتوفّق لها أنت؟! فتبًّا لحكمة ومصلحة مزعومة تخالف هدي النبيﷺ وسيرته في ذلك! وجزى الله خيرًا وأيّد بنصره: مَن يقوم بإزالة الشرك والكفر والضلال، ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ودين الله هو الظاهر، كما نسمع - ولله الحمد والمنة - بين الفينة والأخرى من بعض الجبهات المعروفة بسلامة المنهج وحسن المعتقد؛ ما يقومون به من تحطيم الأوثان التي تعبد من دون الله، ولا يخشون في ذلك لومة لائم، نسأل الله أن يمدّهم بجنده، ويؤيدهم بنصره، وأن يجمع كلمتهم، ويؤلف قلوبهم على الحق، ﴿

وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠ ، فامضوا رحمكم الله على بركة الله، ولا تنظروا إلى إرجاف المرجفين ولا تخذيل المخذلين ولا إلى لمز المنافقين...

فصل

وها نحن نسمع لأبواق ناعقة وصرخات آثمة؛ باسم إحياء التراث، وإظهار معالم التاريخ أرضًا واقعيًّا لا نظريًّا خياليًّا، ووضع الجهات والوزارات والجامعات وصرف الأموال في ذلك، ويتخوّضون في مال الله بالباطل... فانظر إلى ما جاء من الوعيد في ذلك؛ فعن خولة الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**) [رواه البخاري٣١١٨]

وفيما تقدم ذكره؛ إحياء لشعائر الشرك والضلال، وهدم وإزالة لمعالم الإسلام، وهذا لا يحصل إلا: بسلطان قاهر، وعالم سوء يضل الناس، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ الكهف: ٢١ "يعني" أهل الغلبة والسلطة.

وقال البغوي "الملك وأصحابه .اهـ .

وأما العالم الضال؛ فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**) [رواه أحمد وأهل السنن].

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا.

قال: **يهدمه زلّة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين** [رواه الدارمي٢١٤].

وقد أنكر عمر رضي الله عنه على من تحرى مصلى النبي ﷺ ليصلي فيه، وبيّن بأن هلاك أهل الكتاب بذلك؛ فعن المعرور بن سويد قال: كنت مع عمر رضي الله عنه بين مكة والمدينة، فصلى بنا الفجر فقرأ ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ و﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ ، ثم رأى أقوامًا ينزلون فيصلون في مسجد فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبي ﷺ ، فقال:

إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، مَن مرّ بشيء مِن المساجد فحضرت الصلاة فليصلِّ وإلا فليمضِ. [رواه عبد الرزاق٢٧٣٧].

وروى ابن سعد وابن وضاح: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أناسًا يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان، فيصلون عندها، فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت، فانظر كيف خاف عمر رضي الله عنه عليهم الفتنة مع أن الله عزوجل ذكرها في كتابه، ورضي على مَن بايع تحتها، فكيف لو أدركها الناس في هذا الزمان أو علموها؟ لتجالدوا عليها بالسيوف!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكيف يستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتفق قيامهم فيه أو صلاتهم فيه من غير أن يكونوا قد قصدوا للصلاة فيه والدعاء فيه؟ ولو ساغ هذا لاستحب قصد جبل حراء والصلاة فيه، وقصد جبل ثور والصلاة فيه، وقصد الأماكن التي يقال إن الأنبياء قاموا فيها، كالمقامين اللذين بطريق جبل قاسيون بدمشق، اللذين يقال إنهما مقام إبراهيم وعيسى عليهما السلام، والمقام الذي يقال إنه مغارة دم قابيل، وأمثال ذلك من البقاع التي بالحجاز والشام وغيرهما، ثم ذلك يفضي إلى ما أفضت إليه مفاسد القبور، فإنه يقال: إن هذا مقام نبي أو قبر نبي أو ولي، ثم يترتب على ذلك اتخاذه مسجدًا، فيصير وثنًا يعبد من دون الله تعالى .اهـ.

وهل صارت أوثانًا وعُبِدت من دون الله ودّ وسواع و يغوث ويعوق ونسر إلا بسبب التذكرة والتراث والتاريخ؟! فعن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عُبدت. [رواه البخاري٤٩٢٠].

إذًا ما يقوم به أهل التراث والآثار؛ من تشييد الآثار، وتسهيل الطرق للوصول إليها، والدعاية إليها؛ ما هو إلى تجديد لدين عمرو بن لحي الخزاعي! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (**رأيت عمرو بن عامر بن لُحيّ الخزاعي يجرّ قُصبه في النار، وكان أول من سيّب السوائب**) [رواه البخاري٣٥٢١ ومسلم٢٨٥٦].

إذًا علينا الحذر من هذه الدعاوى الباطلة؛ فإن أولها إحياء تراث زعموا، وآخرها عبادة للأوثان والأشجار والأحجار، والقبور والمغارات وغيرها من دون الله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة: ٩٠ ، **قال ابن القيم رحمه الله:** "والنُصب"؛ كل شيء نُصِب من خشبة أو شجرة أو علم أو وثن أو قبر .اهـ.

واعلم بأن الفتنة في ذلك عظيمة؛ فقد خاف منها إمام الحنفاء عليه السلام الذي كسر الأصنام بيده؛ فقال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ ، **قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:** "وهذا أيضًا يخيف العبد؛ فإذا كان الخليل إمام الحنفاء، الذي جعله الله أمة وحده، وابتلاه بكلمات فأتمهنّ، وقال: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ ، وأُمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام، واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام؛ لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه، لا بحوله هو ولا قوته، وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي رحمه الله "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟اهـ. [ذكره في قرة عيون الموحدين].

وقد أخبر النبي ﷺ بغربة الزمان، وأن الدين سيعود كما بدأ.

وقد بوب البخاري: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**) [رواه البخاري ٧١١٦ ومسلم ٢٩٠٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**) [رواه مسلم ٢٩٠٧].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**) [رواه أحمد ٥\٢٧٨ وأبو داود ٤٢٥٢ وابن ماجه ٣٩٥٢].

ولله درّ ابن القيم رحمه الله؛ لمّا ذكر الفقه مما يؤخذ من غزوة الطائف؛ قال: " إنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا؛ فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تُعبَد مِن دون الله، والأحجار التي تُقصَد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل؛ لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركًا عندها وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد مِن أرباب هذه الطواغيت؛ يعتقد أنها تخلق وترزق، وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ماي فعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن مَن كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل، وخفاء العلم، وصار المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة مِن العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومَن عليها، وهو خير الوارثين. اهـ. [من زاد المعاد].

ومسك الختام؛ قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣١ - ٣٤]

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾[آل عمران: ٩٩ – ١٠١].

نسألك اللّهم العفو والعافية، في الدنيا والآخرة، واجعلنا ممن اعتصم بك فهديته صراطك المستقيم.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

اللّهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك في الجنة جنة الخلد.

وصلى الله وسلم وبارك؛ على نبينا محمد، الذي نشهد بأنه بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تركهم على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وَارْضَ اللّهم عن صحابته، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.